ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:05، العدد:02 (2021)، ص50-68

مقاربة جديدة لدراسة نقوش تازينا في الأطلس الصحراوي باستخدام تطبيق نظم المعلومات الجغرافية

A new approach to studying the Tazina engravings in the Saharan Atlas using the application of GIS.

سامية بوجبور
جامعة الجزائر 02 - أبو القاسم سعد الله (الجزائر)
samia.boudjebbour@univ-alger2.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/07/06
تاريخ القبول:
2021/10/17

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الفن الصخري
- ✓ الأطلس الصحراوي
- ✓ أسلوب تازينا
- ✓ المعايير التمييزية

الملخص:

يتناول هذا المقال دراسة النقوش الصخرية بأسلوب تازينا في منطقة الأطلس الصحراوي وخصائصه التقنية والفنية، بالتركيز على المعايير التمييزية الخاصة بهذا الأسلوب لمراجعتها وإعادة فحصها باستخدام طرق البحث الحديثة. نقترح تعريفا فعالا وعمليا لهذا النمط استنادا على بعض المحطات الصخرية النموذجية الحاملة للنقوش تازينية وعلى تحصيل النتائج المتوصل إليها من خلال الأعمال الميدانية والمسح الأثري للمواقع الصخرية. اعتمدت هذه الدَراسة على الجرد الرقمي الشامل للمواقع الصخرية باستخدام تطبيق نظام المعلومات الجغرافية وتأسيس قاعدة بيانات متعددة الحقول، تشمل البعد الفضائي سيتم توظيفها في الدراسة التحليلية والإحصائية من أجل إبراز خصائص تمييزية أخرى سنضيفها إلى المعايير المعروفة لإكمال تعريف أسلوب تازينا.

Article info

Received:
06/07/2021
Accepted:
17/10/2021

Key words:
- ✓ Rock art
- ✓ Saharian Atlas
- ✓ Tazina style
- ✓ Discriminatory criteria

Abstract:

In our article, we study the *Tazina style* rock engravings in the Saharian Atlas region and its technical and artistic attributes based on the differential criteria, in order to review and re-examine it using modern research methods. We propose an effective, practical definition of this style and we present some typical stations of tazinian engravings and the results obtained by the field prospecting of the rocky sites. This study is devoted to the digital inventory of prehistoric stations using GIS and a database, which includes the spatial dimension and which will be used for the analytical and statistical study. It will highlight other distinctive characteristics that we will add to the known criteria to complete Tazina's style definition.

مقدمة

تعتبر جبال الأطلس الصحراوي التي تشكلت في حقبة الحياة الحديثة Cenozoic آخر التكوينات الجبلية في شمال الصحراء. تعرف هذه المنطقة بأقدم المواقع الأثرية للفن الصخري وبثروتها الطبيعية والبيئية، حيث ساهمت هذه الظروف في استقطاب الجماعات البشرية التي أنجزت هذا الفن. سنحاول من خلال دراسة النقوش بأسلوب تازينا في منطقة الأطلس الصحراوي كنموذج لطرح مجموعة من التساؤلات التي يثيرها هذا الموضوع. نقترح منهجية مختلفة تعتمد على وسائل التكنولوجيا الحديثة، على المعاينة المباشرة للنقوش أثناء التنقلات الميدانية وعلى المعايير التمييزية لتحديد هذا الأسلوب. يسمح استخدام تطبيق وسائل التكنولوجيات الحديثة على مواقع الفن الصخري بإدراج نوعية المكان ومحيطه الطبيعي، حيث يوفر نظام المعلومات الجغرافية وجهاز التموقع الجغرافي إمكانية تعيين المواقع الصخرية على الخرائط وتحديد توزيعها الفضائي وتخزين المعطيات التي يتم جمعها ببرامج وتطبيقات تنظم البيانات المختلفة. تتمحور الإشكالية **حول مدى إمكانية التمييز بين التعريف المبدئي لهنري. لوت** [1]، الذي توصل إليه عند دراسة محطات بجبال القصور، **والتعريف الذي توصلنا إليه من خلال الخصائص الجديدة التي لم تذكر سابقا؟ هل ستسمح لنا المعايير والمواصفات الموضوعية التي توصلنا إليها من خلال التحريات الميدانية بإضافة معايير جديدة تمكننا من التعرف على هذا الأسلوب حتى وإن كانت المعايير التمييزية على بعض النقوش متباينة أو قليلة؟** للإجابة على هذه التساؤلات قررنا تسليط الضوء على بعض المحطات الحاملة لنقوش تازينا بهدف التوصل لخصائصه الفنية والتقنية، وذلك من خلال الملاحظات المسجلة أثناء البحث الميداني والمعاينة وإسقاطها على الدراسات السابقة والحالية في مجال الفن الصخري. سنعالج في القسم الأول للمقال المحيط الطبيعي للفن الصخري وتعريف أسلوب تازينا عند الباحثين، أما في القسم الثاني سنتطرق لدراسة منظمة لنقوش تازينا بمحطات الأطلس الصحراوي من أجل تحديد المزيد من المميزات في هذا الأسلوب. الغرض الرئيسي من جمع بيانات المواقع المدروسة هو تحصيلها في بنك معلومات وتوظيفها في الدراسة التحليلية مما يمكننا من الوصول إلى الاستنتاجات المتوقع تحقيقها.

1. الفن الصخري وبيئته

يُنظر إلى النقش والرسم الصخري على أنهما وسيلتان تعتمدان على استعمال مساحة صخرية لتسجيل صورة أو كتابة أو رمز في فترة الهولوسين عموما، وهي بمثابة كتاب مفتوح لصور محفورة تعكس انشغالات إنسان تلك المرحلة، إذ تمثل النقوش عدة حيوانات بأساليب وأبعاد مختلفة. تعد تلك المشاهد ذات الطابع الفني والجمالي الفريد رصيدا معرفيا هام للتعرف على نشاط إنسان ما قبل التاريخ، وشاهدا حيا على المحيط الطبيعي، كما تعتبر عنصرا من عناصر التطور الثقافي ومؤشرا واضحا عن التطور الفكري.

1.1. التعريف بمنطقة الدراسة

يتشكل الأطلس الصحراوي من عدة سلاسل جبلية متتابعة ذات خصائص وميزات طبيعية متشابهة وذات اتجاه جنوبي غربي وشمالي شرقي، تضم كل من جبال أولاد نايل وجبال الزاب شرقا، جبال القصور غربا

ويتوسطهما جبل عمور، جميع هذه التضاريس مرتبطة ببعضها البعض بإلتواءات الزمن الجيولوجي الثاني. تتكون هذه السلسلة من جبال معزولة تتكتل نحو المركز، متكونة من عدة تلال متوازية ذات ارتفاعات متقاربة، تنخفض تدريجيا من الغرب إلى الشرق، تفصلها ممرات واسعة، تتخللها منخفضات واسعة ومنحدرات التعرية وأحواض طميه، يغلب على صخورها الحجر الرملي الذي يعود إلى فترة الكريتاسي الأسفل [2].

تربط هذه المنطقة بين العديد من الوديان، حيث تصب الأودية الرئيسة في اتجاه الشمال نحو البحر الأبيض المتوسط وباتجاه الجنوب نحو رمال الصحراء الكبرى ويوجد ينابيع ومجاري مائية دائمة مثل واد السقوق، واد الطويل وواد مزي [3].

ساهمت هذه الظروف البيئية والطبيعية الملائمة في استقطاب واستقرار المجمعات البشرية التي أنجزت هذا الفن. كما عرفت منطقة الأطلس الصحراوي العديد من التحولات والتغيرات المناخية، حيث صادفت فترة مناخ رطب تارة وفترة مناخ جاف تارة أخرى في مرحلة الهولوسين، أما حاليا تتميز المنطقة بمناخ قاري متوسطي في الجهة الغربية وشبه جاف قريب من النوع القاري في الجهة الشرقية. فوُفرت بذلك ظروف طبيعية وبيئية ملائمة ومناسبة للتعمير والاستيطان البشري منذ الفترات الأولى للهولوسين حتى الوقت الحاضر.

2.1. الفن الصخري في جبال الأطلس الصحراوي

شهدت منطقة الأطلس الصحراوي الاكتشافات الرائدة للفن الصخري وأقدم المواقع الأثرية لهذا الفن (تيوت، عين الصفراء 1847)، مما يجعلها مجالًا مرجعيًا لدراسة الفن الصخري بشكل عام. تعتبر هذه المنطقة من بين المناطق الثرية بالنقوش والرسوم الرائعة والعالية الجودة الممثلة على واجهات صخرية مختلفة، عمودية كانت أم أفقية وبتقنيات وأساليب عديدة، ومن بينها نجد أسلوب تازينا ومظاهره الفنية الفارقة التي تميزه عن باقي الأساليب وهذا ما سيمثل محور مقالنا.

ركزت الدراسات السابقة في مجال الفن الصخري على المنهج التقليدي المستمد من الدراسة الوصفية والتقنية، وعلى عناصر مختلفة كتقنيات الإنجاز، أسالب التمثيل، المواضيع الممثلة، تطابق المشاهد ولون الزنجرة، فأدى تفاعل كل هذه العناصر في تكوين التقسيمات الكرونولوجية الحالية [4]. اهتم الباحثون في دراستهم على الجرد الإجمالي للنقوش الصخرية وعلى المواضيع الممثلة والأساليب الفنية والتقنية، ولم يأخذوا بعين الاعتبار عدة متغيرات استندنا عليها نحن في دراستنا، مثل السند الصخري، لون الزنجرة على الواجهة وداخل النقوش، واعتمدنا أيضا على التوزيع الفضائي للنقوش بالمحطة، توزيع المواقع بالنسبة للمنطقة والمحيط الطبيعي للمواقع الصخرية.

سمحت لنا الأبحاث الميدانية والمراجع المعتمدة من تحديد مجموعة أيقونية مهمة بمنطقة الأطلس الصحراوي، حيث مثلت نقوش صخرية كثيرة بأسلوب "**تازينا**" الذي يُظهر غالبا أشكال حيوانية بأبعاد متوسطة وصغيرة وبأسلوب مميز وأنيق.

2. تعريف أسلوب تازينا

وُضع لهذا الأسلوب تعريفات متباينة وعديدة منذ أن تعرف عليه هـ. لوت بالموقع الأصلي لمحطة "**عين تازينا**" (بلدية المحرة، بولاية البيض) حيث اعتمد في ذلك على المقاسات، الأسلوب الممتد للنهايات والمواضيع المختارة. اقترح لوت في عام 1970 مصطلح "**مدرسة تازينا**" لتعيين مجموعة من النقوش شبه تخطيطية ذات أبعاد صغيرة (النقوش الطبيعية لفلامن ad naturam) التي ظهرت في الجنوب الوهراني وتنتمي إلى "**مرحلة الجواميس ذات الأبعاد الصغيرة**" [5].

أطلق لوت تسمية "**مدرسة تازينا**" على الأشكال التصورية: " **ذات النمط الطبيعي، التي تحتوي في بعض الأحيان على أشكال متفق عليها بأطراف وذيول جد نحيلة، القرون وخطوط الخطم مطولة بشكل غير طبيعي، وعادة ما تكون هذه النقوش بخط مصقول وبمظهر جانبي على شكل U أو V منخفض وضيق، ذو عرض متغير وبصورة نهائية مكتملة في أغلب الأحيان، بحيث يكون انتظام الخط متقن إلى درجة أنه لا يظهر عليه أثر النقر السابق. كما استعمل أحيانا شكل ازدواجية رسم العين وتظهر الزنجرة هي نفسها المتواجدة على النقوش كبيرة الأبعاد**" [6]. جاءت أبحاث لوت (1970 ; 1984) وحملاته الميدانية بالأطلس الصحراوي كحوصلة للأعمال السابقة، بحيث اعتمد على أبحاث فوفري وأعاد النظر في تحليل الفن الصخري المنقوش.

كما عرف هذا الأسلوب تطور تدرجي لمفهومه عند الباحثين منذ نهاية القرن التاسع عشر (Barth 1857, Flamand 1921, Frobenius 1937, Vaufrey 1939, Cominardi 1976, Lhote 1970 (Muzzolini 1988, [7]. كل الآراء وإن اختلفت تجتمع على خصوصية هذا الأسلوب وعلى تميزه عن باقي أساليب الفن الصخري، حيث لا يمكننا تجاهل الفراق القوي الذي يتسم به هذا الأسلوب مقارنة بالأساليب الأخرى، إذ جعل الكتاب يتكلمون عن مدرسة فنية لأسلوب تازينا [8].

أما فيما يخص مسألة الوضعية الكرونولوجية لأسلوب تازينا المصنف ضمن المرحلة القديمة للفن الصخري، فقد وضع هـ. لوت هذا النمط في طابق الجاموس العتيق بمرحلته الوسطى وقبل طابق البقر أو الرعاة [9].

وترى الباحثة نجاة عين السبع أن للمرحلة القديمة أربعة طوابق، أولا طابق الجاموس القديم مع جميع الخصائص المتفق عليها من قبل الباحثين، ثم الطابق ذو الأبعاد المتوسطة والصغيرة أو أسلوب تازينا، ثم طابق انتقال نحو مرحلة الرعاة أو طابق الرعاة القديم (أي التمثيلات المعاصرة للجاموس غير النمطي)، وأخيرا مرحلة الرعاة وبالتالي يمكن لنمط تازينا أن ينحدر من النمط الطبيعي كما يمكن أن ينضم إلى مرحلة الرعاة وفقا للباحثة [10].

3. المنهجية المتبعة في الدَراسة

سمحت لنا هذه الدراسة إبراز واستخدام منهجية مختلفة تدمج فيها كل المعطيات التي تتوفر لدينا عن الفن الصخري الصحراوي ومواقع النقوش الصخرية، ومقارنتها ببعضها البعض حتى يتسنى لنا التَعرف على "**فن تازينا**" والتعريف به من خلال ضوابط ومعايير مستوحاة من الدراسات والأبحاث السابقة ومما اقترحناه من مميزات

هذا الأسلوب، تم مقارنتها بالمشاهدة العينية التي تمت خلال الاستطلاعات الميدانية في منطقة البيض أساسا ومنطقتي الجلفة والأغواط بالأطلس الصحراوي.

كما اعتمدنا على التحليل الإحصائي لإبراز الخصائص الفنية والتقنية لأسلوب تازينا بالمناطق المدروسة بغرض تعريفه، فكان تطبيق هذه المنهجية إيجابيا، خاصّة باستعمال التكنولوجيات الحديثة المتمثّلة في نظم المعلومات الجغرافية وإنشاء قاعدة بيانات شاملة متعددة الحقول ومتصلة مباشرة بالتموقع الجغرافي لجميع المحطات المدروسة. لقد سمح لنا المسح الأثري جمع وتحصيل بينات مختلفة عن المحطات المتنقل إليها، وذلك على المستوى الأثري والجغرافي والطبوغرافي، تم إلحاقها بقاعدة البيانات وتوظيفها في الدراسة التحليلية والإحصائية. كما سمح لنا هذا المسح أيضا بدمج المحطات الجديدة التي اكتشفت حديثا، والتي جلبت إضافة مهمة لهذه الدّراسة.

خصص الجزء الكبير من الدَراسة للجرد الرقمي الشامل للمواقع الصخرية وتثبيتها بواسطة نظم التموقع الجغرافي، لإدماج إحداثيات المواقع في قاعدة معلومات مرتبطة بالمحطات الحاملة للنقوش بـ "**أسلوب تازينا**"، إذ يحتوي نظام المعلومات الجغرافية مجموعة أدوات وتطبيقات تجيز تمثيل وتحليل ودمج البيانات الجغرافية والوصفية للنقوش.

ولقد اعتمدنا على مجموعة متنوّعة من برامج الإعلام الآلي المتخصّصة في مجالات مختلفة كتطبيق MapInfo professional.8، Global Mapper v.12 01 بالنسبة لتموقع المحطات الصخرية، وبرنامج آخر متعلق بإدارة قواعد البيانات ونذكر على وجه الخصوص File Maker Pro 10 Advanced. فسمحت لنا هذه الوسائل المتمثلة في برامج الحاسوب من تسيير ومعالجة وتخزين الكمية الهائلة من المعلومات المتحصل عليها والتي نستطيع استحضارها فوريا عند الحاجة لتحليل البيانات. جاءت الأقسام أو الحقول المعلوماتية لقاعدة البيانات كي تفيد دراسة كل موقع، كل واجهة وكل نقش بشكل مفصل، تمثل أغلبها المعايير التميزية لأسلوب تازينا (**الشكل 1**).

4. دراسة نقوش تازينا عبر المحطات الصخرية

كان لأسلوب تازينا تأثير كبير على الفن الأطلسي خاصة بالجزائر[11]، حيث نجده ممثل في مناطق ومواقع كثيرة عبر هذه السلسلة الجبلية مثل فجة اللبن، سيدي أحمد بن أحمد، الحصبايا بمنطقة أولاد نايل، ومواقع الغيشة أو الريشة، ميلق، عين صفيصيفة (ركوسة)، فجة الترد بجبل عمور ومواقع أخرى بجبال القصور كمحطات عين تازينا، قبر الرشم، فجة النعام، الكريمة، حجرة البّرك، كودية عبد الحق، وغيرها من المحطات المكتشفة حديثا بالمنطقة مثل الضلعة الميتة، الخشم، المحرة الجنوبية، بوشنافة، داية النخيلة، مندر، سدار، التي جلبت معطيات إضافية وهامة فيما يخص دراسة هذا الأسلوب.

لقد بدا لنا أثناء التفحص المتمعن للبيانات الميدانية، أن بعض المحطات أكثر أهمية من غيرها من حيث عدد وكثافة النقوش التازينية المصاحبة للنقوش الأخرى المنجزة على نفس الأسطح الصخرية. تحتوي المحطات

الرئيسية على عدد كبير من النقوش بأسلوب تازينا مثل محطات عين صفيصيفة، الحصبايا، حجرة البّرك، الكريمة ومقرار التحتاني، والمحطات الثانوية التي تتضمن مجموعة محدودة من النقوش التازينية مثل محطات فجة اللبن، ميلق، كودية عبد الحق، المحرة الجنوبية وواد الدغمل.

سنذكر في هذا السياق المحطات النموذجية الحاملة لنقوش تازينا لكي تساعدنا في مراجعة وتحديد تعريف هذا الأسلوب، وذلك حسب توزيعها الجغرافي من الشرق إلى الغرب بمنطقة الأطلس الصحراوي:

1.4. محطات أولاد نايل (منطقة الجلفة)

استفادت المنطقة من عدة دراسات علمية أبرزها أبحاث ومنشورات هنري لوت [12] ومليكة حشيد [13]، حيث قام الباحثان بزيارات ميدانية عديدة للمنطقة من أجل استكمال الأبحاث السابقة، وأضافا من خلال هذا العمل العديد من النقوش غير المعروفة في منطقة الأطلس الصحراوي **(الشكل 2)**.

1.1.4. محطة الحصبايا

من بين المحطات الرئيسية لهذه السلسلة الجبلية، محطة الحصبايا التي أُعيد اكتشافها بين سنة 1964-1965 من قبل الأب دو فيلاري وبلانشارد (De Villaret, Blanchard)، التي توجد على بعد كيلومترين ونصف من بلدية سيدي مخلوف. يتضمن الموقع ثلاث محطات حاملة لنقوش صخرية لفترات زمنية مختلفة وبأساليب فنية متعددة، أهمها واجهة عمودية متجهة نحو الشرق، بارتفاع (20 متر) والممتدة طولا، تقع مباشرة بعد عبور وادي الحصبايا وبها عدد كبير من النقوش خاصة في جزئها المركزي.

تحمل الواجهة على ارتفاع حوالي (3-4 متر) نقوش حيوانية بأعداد ونوعية نادرة، عادة ما تكون بخط مصقول وعميق إلى حد ما. تظهر الزنجرة بلون أسود داخل النقش وعلى الواجهة وبزنجرة بنية فاتحة إلى رمادية ناتجة عن ترقيق الزنجرة السوداء [14]. تهيمن فيها أشكال الفيلة عن غيرها بأبعادها وموقعها المتمركز بالواجهة، منجزة بأسلوب طبيعي أو تخطيطي، ومن بين الأنواع الحيوانية الشائعة أيضا الأبقار بقرون مختلف الشكل وحيوانات أخرى كوحيد القرن، سنوريات، ظباء وغزلان، وعدد كبير من الطيور بأوضاع متنوعة مثل طيور النحام الوردي، الماك الحزين، الحبار والنعام وأشكال هندسية عديدة أسفل الواجهة بالزاوية اليسرى منها كالخطوط المتوازية، الخطوط المتباينة والمعينات [15].

تتميز المحطة بغزارة نقوشها، فمن بين حوالي مائة نقش تم احصائها على واجهة الحصبايا نجد سبعة وعشرون نقشا بنمط تازينا تمثل: ظباء، أبقار، وحيد القرن، فيل، جاموس وحيوان من فصيلة السنوريات. جاءت معظم الأشكال بأسلوب شبة طبيعي، ديناميكي، بأبعاد متوسطة وصغيرة، نادرا بأبعاد كبيرة، بنهايات ممتدة بشكل مفرط فيه أحيانا كالقرون، الخطم، الذيول والأطراف وبخط مصقول عميق وزنجرة قاتمة. كما أنجزت أنواع كثيرة من الحيوانات في شكل مجموعات، متشابكة، متطابقة، متداخلة، البعض منها بأحجام صغير جدا منجزة داخل أجسام حيوانات أخرى **(الصورة 1)**، حيث نلاحظ شكل فيل بأبعاد كبيرة (112سم) يحتوي جسمه حيوانات

بأحجام صغيرة تمثل جاموس وطائر نعتبرهما من أسلوب تازينا ونجد هذه العملية مستخدمة عدة مرات على هذه الواجهة.

على الرغم من هذه الكمية الهائلة من النقوش المتنوعة الأبعاد، هناك وحدة أسلوبية مؤكدة في إنجاز الرسوم، تعطي تجانس كبير بين جميع النقوش. تسببت عدة عوامل طبيعية كالتعرية (جريان المياه على الواجهات الصخرية، الشقوق، الحويصلات الهوائية والتقشير الصخري) في إتلاف تدرجي لا رجعة فيه للأشكال الممثلة بكل الواجهة.

2.4. محطات جبل عمور (منطقة الأغواط)

تُعرف هذه المنطقة ببعض المواقع الصخرية بأسلوب تازينا مثل محطة ميلق، الريشة أو الغيشة وفجة الترد، حيث بينت الدراسة أن هذه مواقع من المحطات الثانوية لهذا الأسلوب ما عدى محطة عين صفيصيفة الكثيرة النقوش والتمثيلات الحيوانية **(الشكل 3)**.

1.2.4. محطة عين صفيصيفة

يعتبر موقع عين صفيصيفة من بين المواقع الصخرية المكتشفة حديثا، تم التعرف عليها من قبل محمد الحاج قدور في سنة 1993، وهو موقع عبارة عن كتل صخرية مائلة على قمة تل صغير، يحتوي مجموعة من النقوش الحيوانية بأبعاد متوسطة وممثلة بشكل منعزل أحيانا، متجاورة أو في شكل مشاهد أحيانا أخرى. يقدر عدد نقوش المحطة بحوالي ثلاثون شكلا، منها واحد وعشرون بأسلوب تازينا المميز تمثل ظباء وغزلان، أبقار، أحصنة، جاموس، نعامة ووحيد القرن. أنجزت سلسلة حيوانية متجهة نحو اليمين في الجزء الرئيسي من المحطة، منفذة بكل خصائص أسلوب تازينا كمحيط الشكل أحادي الخط والمصقول بعمق، امتداد النهايات، وزخرفة مفرطة ومنجزة بصور نمطية [16].

تتميز أغلب النقوش بتقنية صقل جد عميق، بعضها بمساحات داخلية مخططة، حيث احتوى المشهد الرئيسي على أشكال حيوانية كبيرة تغطي كل جسمها خطوط عمودية حيث تتقارب الخطوط عند مقدمة الشكل، كما اضيفت خطوطًا أفقية بالرأس الذي جاء في شكل بيضوي وممدود بخط عمودي طويل. يُفتتح المشهد الحيواني بنقش غزال منجز بشكل نَمَطِّيّ، ذو خطم ممتد بخط طويل، يليه ظبي خيلي ضخم الجسم وذو خطم بيضوي الشكل، صغيره بين أطرافه، ثم غزالة أخرى مع صغيرها، وينتهي هذا المشهد بغزال آخر يتبعه ثعبان أو نعامة **(الصورة 2)**.

3.4. محطات جبال القصور (منطقة البيض)

تعتبر منطقة جبال القصور أكثر مناطق الأطلس الصحراوي غزارة من حيث المواقع الصخرية وأقدمها اكتشافا. فمن بين واحد وثلاثون موقع مدروس، نجد سبع محطات صخرية رئيسة بأسلوب تازينا، سنذكر منها محطتين: موقع حجرة البّرك وموقع الكريمة **(الشكل 4)**.

1.3.4. موقع حجرة البَرك

يوجد موقع حجرة البّرك على بعد كيلومترين غرب بلدية بريزينة، وهو عبارة عن مجموعة منحدرات صغيرة متآكلة الأسطح، يتخللها واد السوڤر وفروعه. يتكون موقع حجرة البّرك من مجموعة تضم خمسة جروف مصطفة من الحجر الرملي اللين، ثلاثة منها على شكل ملاجئ صخرية ناتجة عن شدة فعل التعرية. تقع النقوش على ثلاثة جروف من أصل خمسة متواجدة بالموقع، انجز عليها عدد ضخم من النقوش المتنوعة، مختلفة الأسلوب، المقاسات والمواضيع، متطابقة على بعضها البعض أحيانا. يظهر أثار سيول الأمطار واضحا على الواجهات وتسبب في تآكل النقوش وإتلافها بحيث لم يبقى أثر للزنجرة الصحراوية. كما لوحظ أثناء المسح الأثري بمحاذاة الموقع بقايا أثرية مختلفة لأدوات حجرية من الصوان ومن الحجر الكلسي وقطع الفخار.

قام هـ. لوت بجرد ودراسة جزء كبير من نقوش هذا الموقع أثناء تنقلاته الميدانية لمواقع الفن الصخري بالجنوب الوهراني سنة 1955 [17]. تحمل الواجهات أكثر من مائة وستون نقشا لتمثيلات مختلفة من حيث الأساليب ومن حيث الفترات الزمنية (مرحلة الجاموس العتيق، مرحلة البقر، العربات، البربرية–اللبية والكتابات)، وقد سجلنا من بينها ستة وعشرون نقشا بأسلوب تازينا تمثل الظباء والغزلان، الأحصنة والأبقار بشكل ديناميكي، بنهايات ممتدة كالأطراف، الذيول، القرون والرقبة (**الصورة 3**)، بأبعاد متوسطة وبخط مصقول بعمق، بأسلوب شبه طبيعي وشبه تخطيطي وزنجرة كاملة مماثلة للون صخرة السند.

تقع العديد من هذه النقوش على ارتفاعات شاهق لا يسمح الوصول إليها، حيث فتحت ثقوب على الواجهة الصخرية تستخدم من أجل التسلق وبلوغ تلك النقوش. تحمل بعض الواجهات تمثيلات صخرية مكثفة مما يصعب مشاهدة وملاحظة كل الأشكال بوضوح، كما توجد بالمحطة خطوط مصقولة كثيرة يعتبرها هـ. لوت حديثة الإنجاز [18].

تتشارك بعض النقوش في خطوط فيما بينها، كمشهد تزاوج الظباء (**الصورة 1/4**)، أو الظبي مع النعام فهما متقاطعان على مستوى خط البطن (**الصورة 2/4**)، كما مثلت بعض النقوش في شكل مجموعات حيوانية متتابعة كمشهد حيوانات من فصيلة الأحصنة.

2.3.4. موقع الكريمة

جاءت محطة الكريمة مشابهة لمحطة الحصبايا في عدة نقاط من حيث المواضيع الممثلة، عدد النقوش ونوع السند الصخري، فهي عبارة عن واجهة عمودية محاذية للجبل الشرقي (Djebel Chergui). تقع المحطة على يسار طريق البيض– الربوات بمنطقة البيض، حيث تتميز الصور الصخرية المنقوشة بكثافة مذهلة مثيرة للانتباه تذكرنا بكثافة نقوش واجهة الحصبايا بمنطقة الجلفة. تحمل الواجهة الصخرية عدد كبير من النقوش المتتالية، بها أكثر من مئة شكلا، اثنان وثلاثون منها بأسلوب تازينا، تمثل أشكال حيوانية أغلبها من الظباء والغزلان، وكذا الأبقار، الأحصنة والكلبيات بأعداد أقل، في حالة متقدمة من التعرية الطبيعية وتعاني معظمها من تلف كبير إلى درجة اختفاء الزنجرة القديمة التي تقشرت واندثرت كليا. كما يظهر التآكل بنسبة عالية في

أماكن كثيرة من الواجهة، حيث يبدو خط رسم التمثيلات بشكل واسع وعميق جدا قد يرجع ذلك إلى طبيعة الصخرة اللينة.

تمثل النقوش الصخرية المتتابعة لواجهة الكريمة أشكال حيوانية مختلفة الفصائل والأساليب وبتقنيات إنجاز متباينة، حيث تظهر تمثيلات الأبقار متعددة المظهر، نجدها أحيانا برسم منظوري وبشكل تركبي متطابق **(الصورة 1/5)** في مشهد لثلاثة حيوانات من فصيلة البقريات متراكبة فوق بعضها ومقابلة لظبي، الرؤوس منخفضة، القرون منحنية نحو الأمام، خطم الحيوان الأول منقسم إلى جزئين، العين بشكل مزدوج، تتقاطع خطوط الأشكال على عدة مستويات، كما نجدها أحيانا أخرى بشكل متتابع كسلسلة الظباء **(الصورة 3/5)**. نلاحظ أحيانا أن بعض الحيوانات تتشارك خطوط الرسم **(الصورة 2/5)** وتتقاطع في حالات أخرى **(الصورة 1/5)** ويمثل الغزال **(الصورة 4/5)** أحسن ما نقش في هذا الأسلوب، حيث يتقدم الغزال مجموعة من الظباء، قرون وأذنيين الغزال بنهاية مستقيمة وبشكل ثلاثي الفصوص، الخطم حاد النهاية، الجسد متقلص، الأطراف بنهاية مفتوحة. أنجز بشكل أنيق، ديناميكي، بتقنية صقل عميقة، ويظهر جسم الغزال بمنظور جانبي مطلق والرأس بمنظور مقابل مما يعطي انطباع أن الحيوان ينظر إلى من يقابل المشهد. تعكس هذه التفاصيل المتكررة التي نشاهدها على النقوش الصخرية بأسلوب تازينا بمعظم المحطات المدروسة نظرة الفنان الخاصة التي يهدف من خلالها تحسين مردود الرسم وإضافة لمسة من الحيوية للمواضيع الممثلة. كما تعتبر هذه التفاصيل ميزة وخاصية متواجد في أسلوب تازينا لاحظنها على النقوش الصخرية في المواقع غير المذكورة في الدراسات السابقة.

5. الدراسة الإحصائية

بناءا على الدراسة الإحصائية يمكننا القول بأن معظم الأشكال الممثلة في هذا الأسلوب جاءت بأبعاد متوسطة وصغيرة الحجم مع وجود بعض الاستثناءات، ونعني هنا الأشكال الممثلة بأبعاد كبيرة. انجزت أنواع كثيرة من الحيوانات بصفة متجمعة، متشابكة، متطابقة، متداخلة مثل واجهتي الحصبايا والكريمة وأشكال حيوانية بأبعاد صغيرة منقوشة داخل أشكال كبيرة بمحطة الحصبايا. تحمل معظم الأشكال صفة الحركة، وتظهر ديناميكية التمثيلات في حركة الجسم (الركض، القفز، الوثوب)، أو عن طريقة الحركة المحددة بأحد أجزاء النقش، مثل الرأس والذيل أو الساقين. يشار إلى الحركة بتقارب الأطراف وامتدادها نحو الأمام، انحناءها أو تقصير الخلفية منها، كما يشير انخفاض، رفع والتفاف الرأس على حركة وديناميكية النقش **(الشكل 5)**.

6. تحليل النتائج

سمحت لنا هذه الدّراسة المتعلقة بالفن الصخري الأطلسي والمتمثّلة في تعيين، وتحديد وتحليل الميزات الرئيسية للنقوش الصخرية بأسلوب تازينا بوضع تعريفا أكثر تفصلا بفضل إضافة مميزات جديدة لم يتم ذكرها من قبل. يتسم نمط تازينا بعدة خصائص أسلوبية وفنية مميزة تسمح لنا بتحديده وتعريفه بدقة.

نقترح تعريف جديد لمفهوم تازينا تدرج ضمنه صفات إضافية تميزية توصلنا إليها من خلال الدراسة المفصلة ومراجعة البيانات السابقة، فهو إذا أسلوب شبه طبيعي أو شبه تخطيطي جد أنيق، ذو لمسة ديناميكية للأشكال

الحيوانية الممثلة، تظهر فيه التفاصيل الشكلية بصيغة متفاوتة، مع امتداد الأجسام، ترقيق النهايات ومد الأجزاء المدببة كالقرون، خط الخطم والذيل بشكل غير معتاد من حين إلى آخر، مسار النقش ذو صقل عميق عموما وجد عميق أحيانا، بخط منتظم، ذو عرض متغير، مصقول بدون أثر للنقر وبدقة جد فائقة. تمثل الأشكال في أغلب الأحيان بأبعاد متوسطة وصغيرة وتمثل في أحيان آخر بأبعاد كبيرة، وبمساحة داخلية مصقولة أو نجدها مليئة بخطوط متوازية. يعبر هذا الأسلوب بشكل كبير عن حيوية المواضيع الممثلة لحيوانات برية مشابهة لتلك الممثلة في المرحلة السابقة مع هيمنة الظباء والغزلان. كما نلاحظ أنه غالبا ما تكون الزنجرة قاتمة وكاملة مماثلة لزنجرة واجهات الأشكال كبيرة المقاسات. وقد سمحت لنا التحريات الميدانية من التحقق من صحة المعايير التمييزية لهذا الأسلوب كالمواضيع الممثلة، امتداد النهايات، الخط المصقول، المقاسات، طريقة الإنجاز، أسلوب التنفيذ والزنجرة، التي تم تحديديها والتأكد من صوابها ودقتها.

خاتمة

يعتبر "**أسلوب تازينا**" منتج فني تابع للمرحلة الأولى من التصنيفات الكرونولوجية للفن الصخري، أي الأسلوب الطبيعي بأبعاد كبيرة، وما يفرقه عن الأساليب الأخرى هي طريقة تنفيذ الأشكال الجد مميزة.

يغطي مصطلح "**أسلوب تازينا**" **مجموعة واسعة من الطرق المختلفة لتمثيل الحيوانات وفي مناطق متباعدة جغرافيا عند المؤلفين**[19]. **من هذا المنطلق** توجب علينا تعريف هذا "**النمط**" وتصنيفه حسب الخصائص النموذجية للمجموعة الفنية وحسب العناصر التمييزية، وليس من خلال الصفات النادرة والاستثنائية له، هذا ما تم تحقيقه في هذه الدراسة.

أجازت لنا هذه الدّراسة إبراز منهجية مختلفة، تدمج كل المعطيات التي توفرت لدينا عن الفن الصخري ومواقع النقوش الصخرية، ومقارنتها ببعضها البعض حتى يتسنى لنا التَعرف على "**فن تازينا**" والتعريف به من خلال الضوابط والمعايير المتوصل إليها ومقارنتها بالمشاهدة العينية التي تمت خلال الاستطلاعات الميدانية بالمنطقة وعبر العينات المختارة، والتعامل مع الأمر الواقع الذي ألزمته الواجهات الحاملة لهذا النمط بالأطلس الصحراوي. تم ضبط تعريف أسلوب تازينا من خلال تفحص نقوش المواقع الصخرية وتقديم أبرز خصائص الفن التازيني.

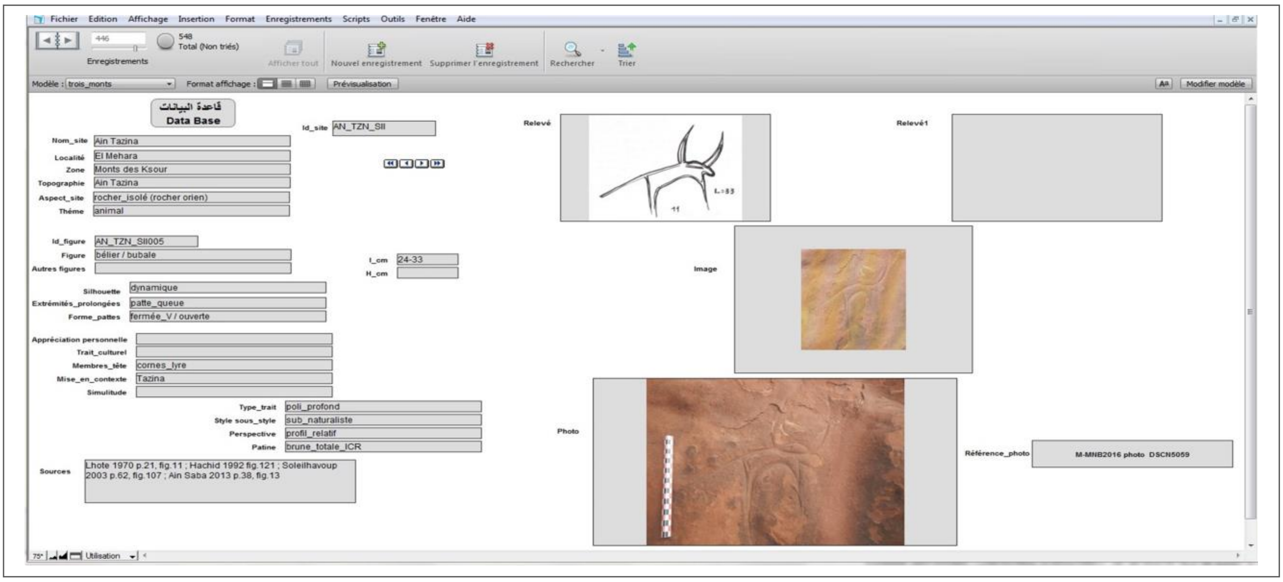
تقتضي طبيعة دَراسة الموضوع الارتكاز على الجانب الجغرافي الذي يمكننا من إجراء التحليل الفضائي على مستوى الموقع الصخري والإقليم، أي منطقة الأطلس الصحراوي، حتى يمكن الربط بين البيانات المكانية المتعلقة بمختلف المحطات والاطلاع على ما كانت عليه المجموعات البشرية، ومدى تعبيرهم عن أحاسيسهم الفنية والجمالية. سمح لنا تطبيق نظام المعلومات الجغرافية بإنجاز الخرائط الموضوعية وتوضيح التوزيع الفضائي للمحطات الصخرية، وجمع وتحصيل بينات مختلفة عن المواقع المتنقل إليها، وذلك على المستوى الأثري والجغرافي والطبوغرافي ثم إلحاقها بقاعدة البيانات المرتبطة بالمواقع المدروسة في الأطلس الصحراوي والتي

وظفنها في الدراسة التحليلية والإحصائية. كما أجاز لنا هذا المسح بدمج المحطات الجديدة التي اكتشفت حديثا، تم التعرف عليها بفضل حراس المواقع أثناء التنقلات الميدانية والتي جلبت إضافة مهمة لهذه الدّراسة.

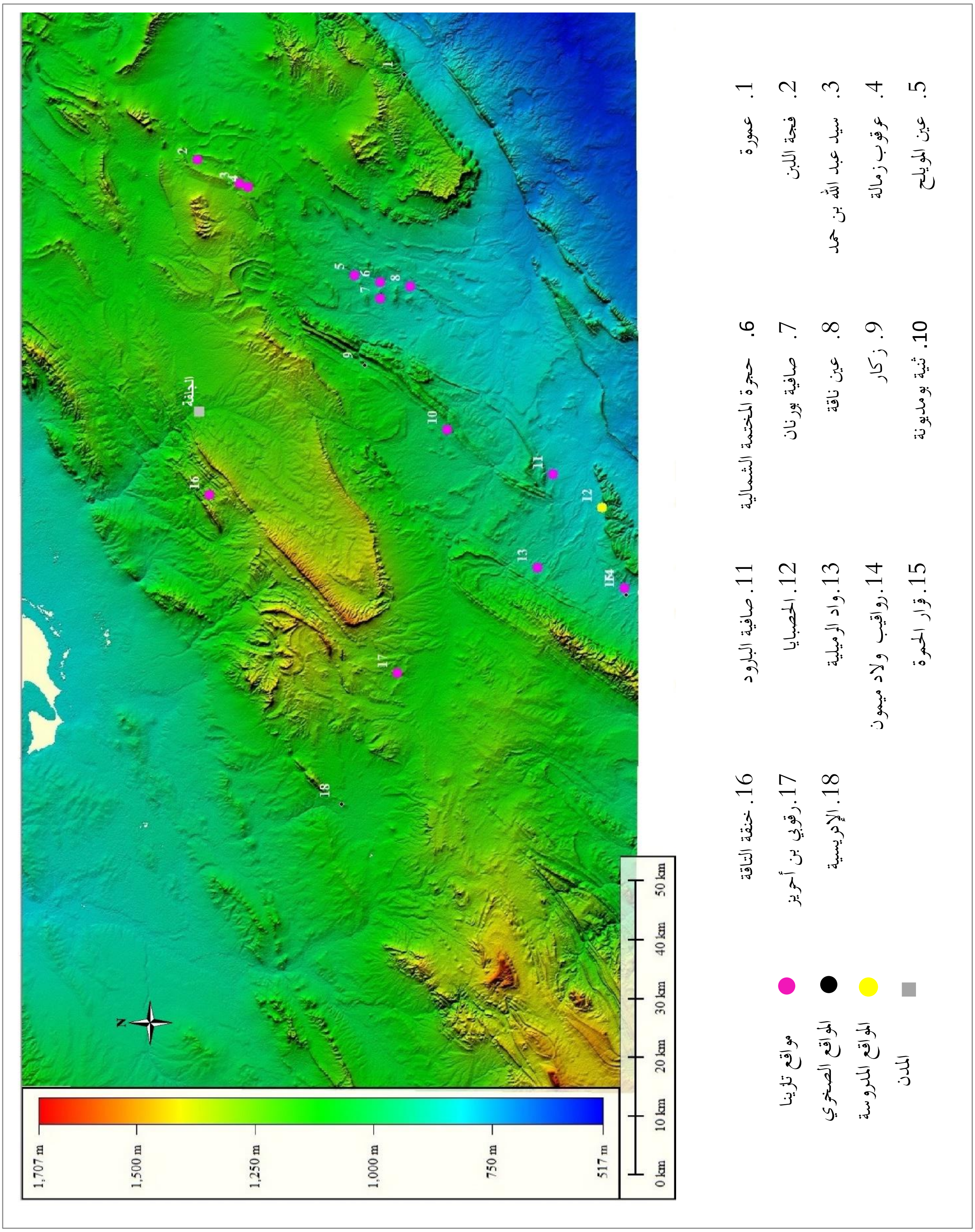
من أهم النتائج المتوصل إليها، تقديم تعريف شامل لأسلوب تازينا وبناء بنك معلوماتي يحتوي على بيانات تضم تحديد إحداثيات المواقع، نوع السند، المواضيع الممثلة، الصور الفتوغرافية للنقوش ومعلومات أخرى عن مواقع ونقوش تازينا بالأطلس الصحراوي. كما قمنا بتعريف هذا الأسلوب من خلال خصائص تأخذ في الحسبان المعايير التمييزية بشكل أساسي، ولا تقتصر فقط على امتداد واستطالة الخطوط، بل تجمع معايير أخرى كالديناميكية، وتفاصيل التمثيلات، والطابع الثقافي، وتقنية الخط، والأبعاد، المنظور ومميزات أخرى كبيئة الموقع ونوع السند الصخري.

أتاحت لنا النتائج التي تم الحصول عليها في هذا البحث إجراء فحص مفصل ودقيق لأسلوب تازينا واستكمال خصائصه التميزية بالأطلس الصحراوي، فإذا كانت النقوش مختلفة المظهر فهي تشترك في عدة معايير. تتعرض الكثير من المواقع الصخرية لإتلافات مختلفة، فلا يقتصر الأمر على العوامل الطبيعية فقط بل هناك عوامل بشرية. إذا كانت غالبية خطوط النقوش تبدو أصلية، فهناك خطوط أخرى وكتابات ورسوم حديثة أدت إلى تشويه المشاهد الأصلية، حيث تم ملاحظة العديد من هذه التخريبات البشرية بسب لاَ وعي في عدة مواقع أثناء التنقل الميداني والتي نستنكرها بشدة. إذا كانت حماية هذه التحف الفنية في حقيقة الأمر معقدة هذا لا يعني إهمالها وعدم البحث في سبل الحفاظ عليها من الأيادي التي تتسبب في الإنقاص من القيمة الفنية لهذا الموروث المادي، فالمواقع الصخرية مرجع أساسي في الدراسة الأثرية للفن الصخري. إذا كان الحفاظ عليها وتثمينها يقع على عاتق المتخصصين، فإن حمايتها من مسؤولية الجميع على الصعيدين الإقليمي والجهوي.

ملاحق



الشكل 1: هيكلة قاعدة بينات نقوش تازينا على تطبيق (File Maker Pro Advanced)
المصدر: الباحثة



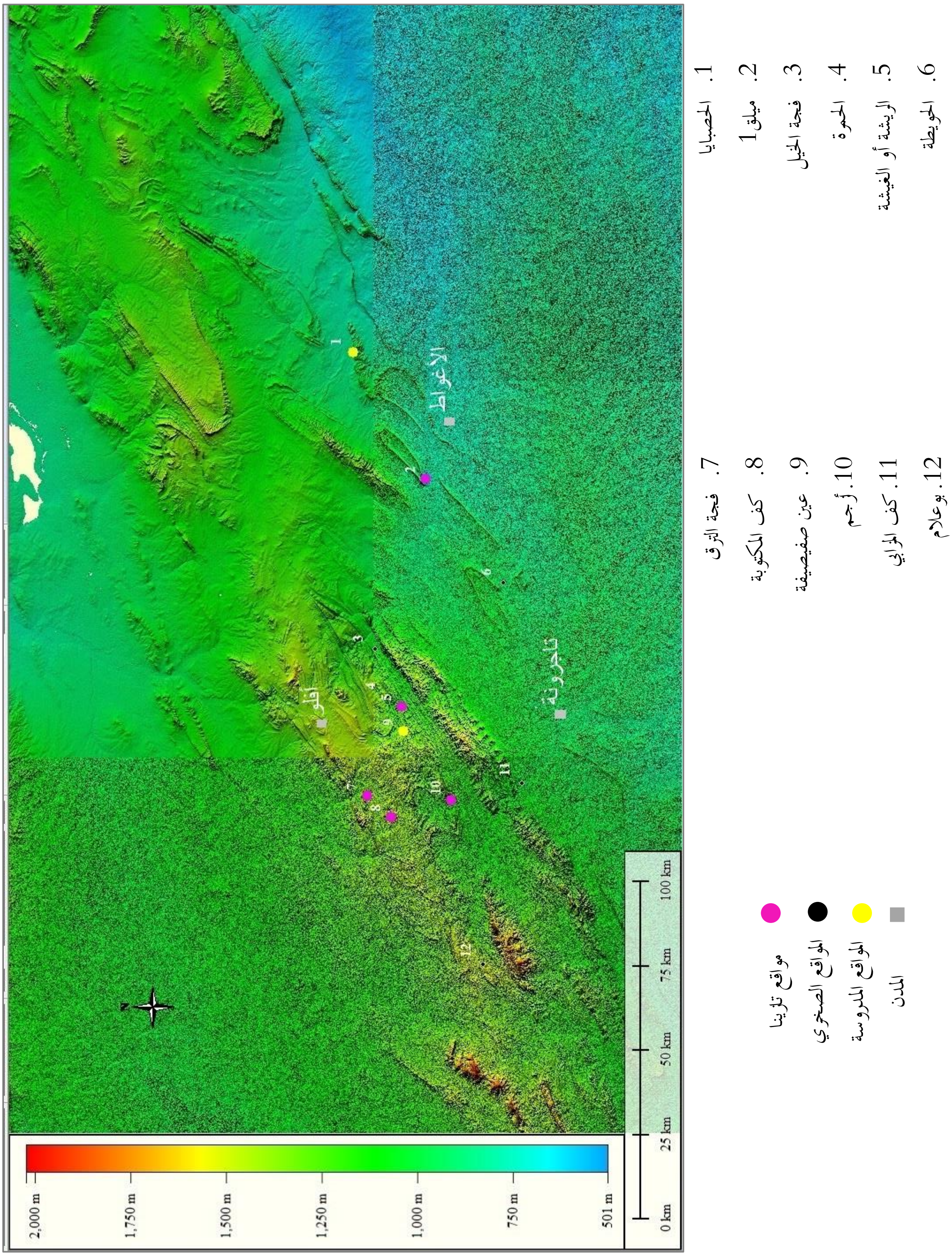
الشكل 2: التوزيع الفضائي لمواقع تازينا بجبال أولاد نايل، النموذج الرقمي للارتفاع MNT.
(Global Mapper V 12.01)
المصدر: الباحثة



الصورة 1: أشكال حيوانية صغيرة منقوشة داخل أشكال كبيرة، موقع الحصبايا، جبال أولاد نايل-الأطلس الصحراوي.
المصدر: الباحثة



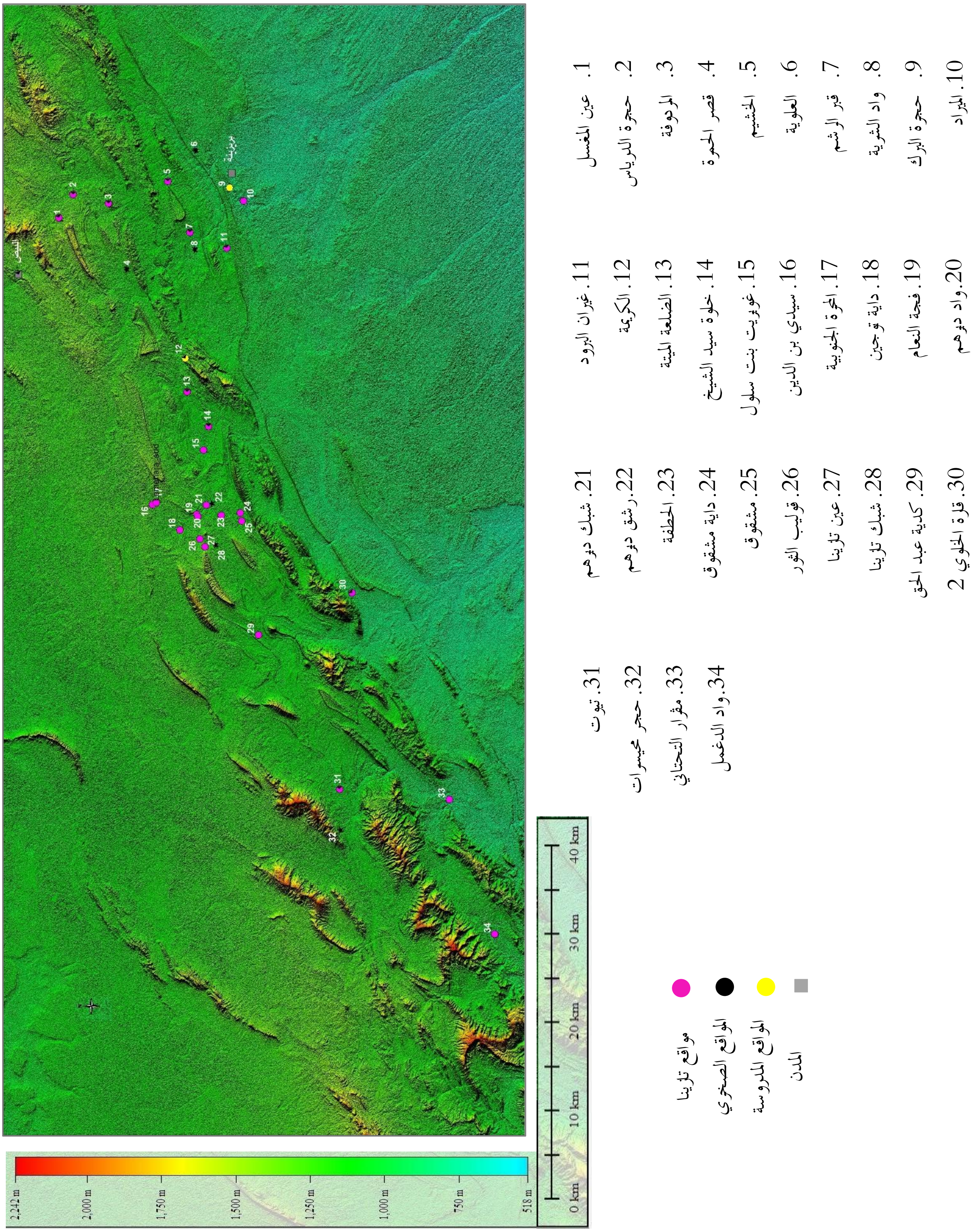
الصورة 2: المشهد الرئيسي لمحطة عين صفيصيفة، حبل عمور– الأطلس الصحراوي.
المصدر: الباحثة



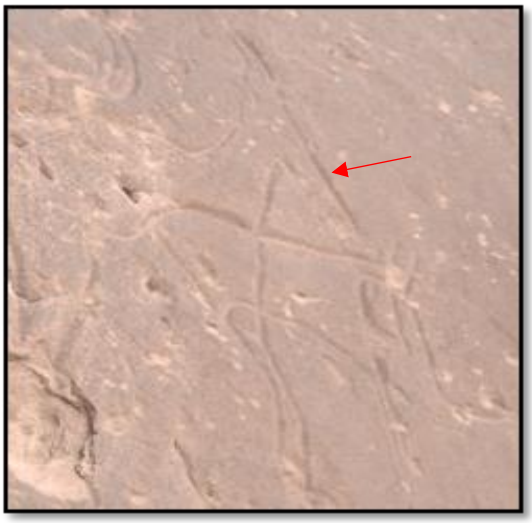
الشكل 3: التوزيع الفضائي لمواقع تازينا بجبل عمور، النموذج الرقمي للارتفاع MNT.

(**Global Mapper V 12.01**)

المصدر: الباحثة



الشكل 4: التوزيع الفضائي لمواقع تازينا بجبال القصور، النموذج الرقمي للارتفاع MNT.
(**Global Mapper V 12.01**)
المصدر: الباحثة

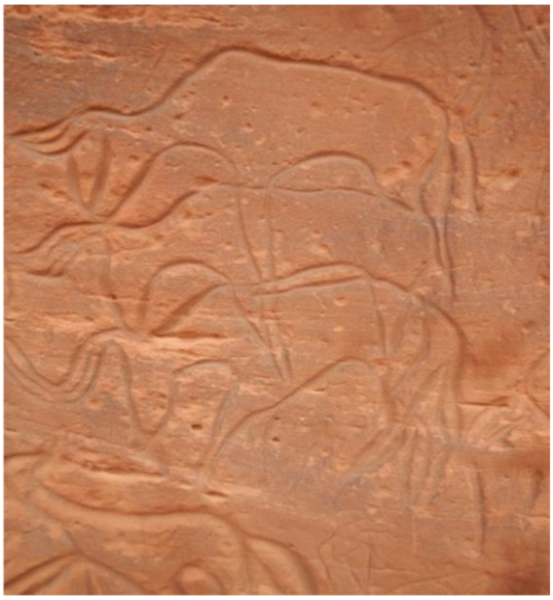



الصورة 3: نقوش متشاركة الخطوط بمحطة حجرة البَرك، جبال القصور-الأطلس الصحراوي.
المصدر: الباحثة




الصورة 4: امتداد النهايات في النقوش الحيوانية بموقع حجرة البرك، جبال القصور-الأطلس الصحراوي.

المصدر: الباحثة



1



2



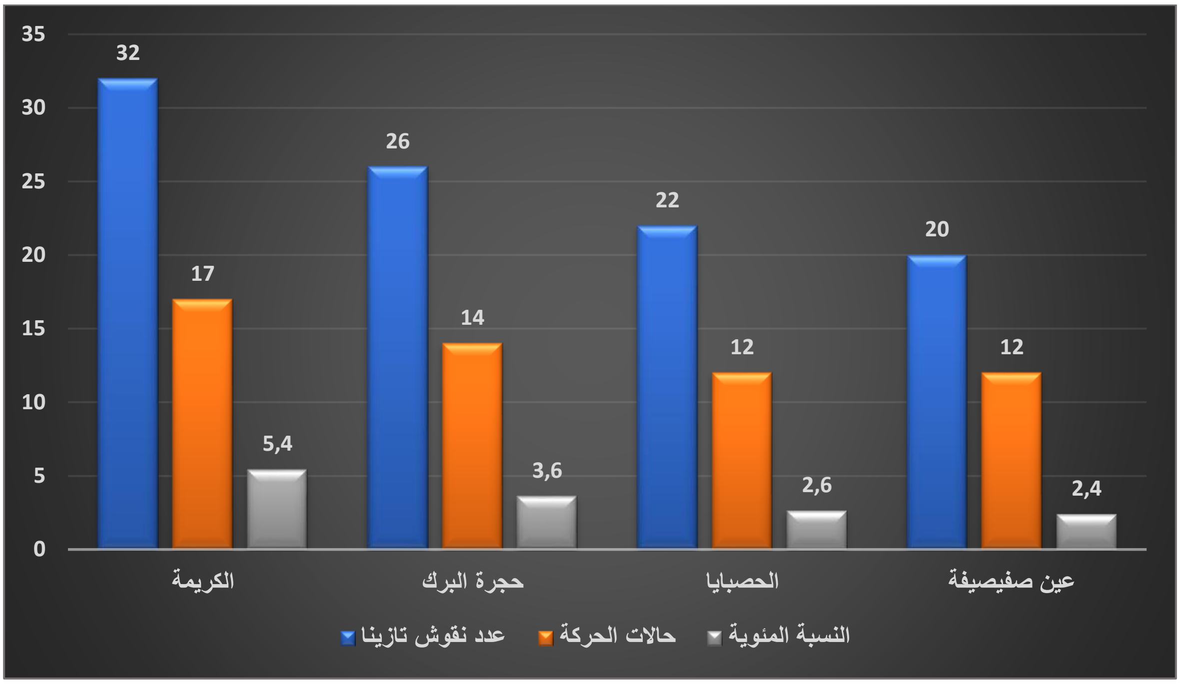
3



4

الصورة 5: النقوش التزينية بواجهة موقع الكريمة، جبال القصور–الأطلس الصحراوي.
المصدر: الباحثة

1. مشهد تطابق حيوانات من فصيلة البقريات.
2. مشهد تشارك الخطوط الرسم بين جاموس وظبي.
3. مشهد تتابع الظباء.
4. تمثيل غزال بأسلوب متميز.



الشكل 5: رسم بياني يمثل حالة الحركة في النقوش التازينية بالمواقع المدروسة.

المصدر: الباحثة (نتائج البحث 2021).

الهوامش:

1. **هنري لوت:** (1903-1991) عالم فرنسي في ما قبل التاريخ، باحث في (CNRS) ومسؤول عن قسم فن ما قبل التاريخ بمتحف الإنسان في باريس. أجرى زيارات ميدانية عديدة أضاف من خلال هذا العمل المئات من النقوش غير المعروفة في منطقة الأطلس الصحراوي. جاءت أبحاث لوت (1970 ؛ 1984) وحملاته الميدانية بأطلس الصحراوي كحوصلة للأعمال السابقة، ووضع كرونولوجيا مفصلة على شكل مذكرات ومقالات قام فيها بدراسات وملاحظات جديدة طرح من خلالها تصنيفات زمنية وأسلوبية دقيقة عن الفن الصخري.
2. Jean Despoids, (1957), **Le djebel Amour (Algérie)**, PUF, Paris, Pub. Fac Lettres d'Algérie II, Tome 35, p 7.
3. Jean Despoids & René Raynal, (1976), **Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest**, Paris, Payot, p 133.
4. Ginette Aumassip, (1993), **Chronologies de l'art rupestres saharien et nord-africain**, Paris, Gandini, p 11.
5. Ibid,p 4-5.
6. Henri Lhote, (1970), **Les gravures rupestres du Sud-Oranais**, AMG, Paris, Mémoire Du CRAPE, Alger, Tome 16, pp 172-173.
7. Jean-Loïc Le Quellec, (1993), **A propos de quelques gravures rupestres de l'Ajal (Fezzan septentrional, Libye)**. Réflexion sur le style Tazina, Bulletin de la Société Préhistorique Française, Tome 90, N°5, pp 368-369.
8. Malika Hachid, 1982-1983, **La chronologie relative des gravures rupestres de l'Atlas saharien (Algérie) et la région de Djelfa**, Libyca, Alger, Tome 20, pp 145-149.

9. Henri Lhote, op. cit, pp 170-174.

10. Ain-Saba N, **La figure du bubale dans l'Atlas saharien.** Réflexion sur la chronologie, Revue A.A.S.P.P.A, N°2, 2013, p 48.

11. Francois Soleilhavoup, (2003), **Art préhistorique de l'Atlas saharien**, Paris, Pilote 24 édition, p 61.

12. Henri Lhote, (1984), **Les gravures rupestres de l'Atlas saharien. Monts des Ouled Nail et de Djelfa, Avec le concours du Père F. de Villaret**, Alger, Office du Parc National du Tassili.

13. Malika Hachid, (1992), **Les pierres écrites de l'Atlas saharien (El Hadjra Mektouba)**, Alger, ENAG.

14. Michel Tauveron, Mohamed Alliche, Nadjib Ferhat, Naget Ain Séba, Ginette Aumassip, 2015, **Art rupestre dans le Djebel Ammour**, Alger, Editions ANEP, p 107.

15. Ibid, pp 109, 115.

16. Ibid, p 104.

17. Henri Lhote, **Les gravures rupestres du Sud-Oranais**, op. cit, pp 128-139.

18. Ibid, p 176.

19. Alfred Muzzolini, 1988, **Le « Style Tazina » : définition, extension, signification de ses figurations les plus méridionales (Fezzan, Tassili, Djado, Air)**, Bulletin de la Société Préhistorique Ariége-Pyrénnées, Tome 43, pp 185-191.